

دور المخطوطات في حفظ الأمن السلم المجتمعي في مالي

دراسة تقييمية لإسهام منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بين الفترة (2012-2022)

الدكتور عبد الكريم محمد أستاذ مساعد بجامعة باماكو للآداب والعلوم الإنسانية abduulk41@yaoo.fr

Résumé :

Les pays de la région sahélo-saharienne d'Afrique sont parmi les plus vulnérables aux crises sécuritaires qui continuent de décimer tout. Ceci est dû au phénomène généralisé du terrorisme et de la violence. Cela a nui à la paix sociale connue des habitants de la région depuis des siècles. Le Mali est l'un des pays des plus touchés par ces menaces. Depuis 2012, le Mali souffre d'une crise multidimensionnelle. L'ONG Sauvegarde et Valorisation des Manuscrites pour la Défense de la Culture Islamique (SAVAMA-DCI) a apporté une contribution significative depuis le début de la crise. Ses activités étaient axées sur la sauvegarde du patrimoine et l'exploitation de ce précieux trésor pour sensibiliser les gens et développer les valeurs de paix et attirer l'attention des décideurs sur le rôle des manuscrits dans la promotion de la paix et de la réconciliation nationale. Cet article vise à présenter les activités et travaux les plus importants réalisés dans ce domaine, en se basant sur une approche historique, descriptive et analytique.

Mots-clés : Manuscrits- la paix- ONG SAVAMA-Mali

الملخص:

تعد المخطوطات الإسلامية من أهم المراكز الثقافية التي يمكن الاستناد عليها لتعزيز قيم السلم وتحقيق التعايش السلمي. وتعتبر منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي من أبرز المؤسسات التي أدركت أهمية التراث الثقافي في بناء السلام في المجتمعات؛ لذا خصصت جزءاً مهماً من أعمالها لإبراز دور المخطوطات في تعزيز السلم المجتمعي وتحقيق المصالحة. فمنذ بداية الأزمة في مالي عام 2012 ركزت جل أنشطتها على إنقاذ التراث والاستفادة منه في توعية الشعب وتنمية قيم السلم، وقامت بتحقيق جملة من المخطوطات التي تعالج قضايا الأمن والسلام والمصالحة والوسائل المؤسسية لها، مثل: التسامح، ورعاية حقوق الإنسان، وترشيد الحكم. وقد نظمت في هذا الإطار العديد من المحاضرات والندوات وورشات العمل. وتهدف هذه الورقة إلى عرض أهم الأنشطة والأعمال التي أنجزتها هذه المنظمة الرائدة، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى أن المخطوطات تحتوي في مضامينها على قيم وتقاليد اجتماعية سلمية يمكن استثمارها في استعادة الأمن في منطقة الساحل، وأن

جهود منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي أسهمت بشكل فعال في دعم مسار المصالحة الوطنية والسلم المجتمعي في مالي.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات ، السلام، منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث ، مالي

المقدمة

تُشكّل المخطوطات القديمة أهمّ موروث ثقافي تركه الأجيال السابقة للأجيال الحاضرة، وهي بمثابة كنز حضاري، تحمل بين طياتها كثيرا من العلوم والمعارف والقيم، وتُمثّل محتواها الذاكرة الوطنية التي تراكمت على مرّ العصور، فهي بذلك تُعتبر منارا ينبغي الاهتداء بها في المشاريع الوطنية، ومصدرا للبحث عن الحلول للتحديات التي تواجهها المجتمع. وتُعدّ جمهورية مالي أحد أهمّ الدول في إفريقيا جنوب الصحراء التي أسهمت بشكل فعال في بناء الحضارة الإسلامية وتكوين تراثها، وتشهد على ذلك غزارة المخطوطات القديمة التي تحتضنها مدنها التاريخية، مثل: تمبكتو، وجني، وغيرها من مراكز إشعاع الحضارة العربية الإسلامية (زبير، 1978). فهذه المخطوطات الغنية بمحتواها العلمي والفريدة بأصالتها وعراقتها لا يمكن الاستفادة منها إلا بتحقيقه، وإخراجها، وتحليل محتوياتها، ونشرها ليستفيد منها المجتمع في إيجاد حلول لمشاكله الراهنة. وتعدّ مشكلة انعدام الأمن والسلم المجتمعي من أهمّ المشاكل التي تعاني منها دول الساحل اليوم؛ وذلك بسبب تنامي أعمال العنف والجرائم التي حصدت الأرواح والممتلكات العامة والخاصة، وقوضت النسيج الاجتماعي، وعرقلت أعمال التنمية. وقد جعل هذا الوضع الأمني الهش الذي تعيشه المنطقة استعادة السلام وتوطيده من أهمّ أولويات المجتمع الدولي، والحكومات، ومؤسسات المجتمع المدني. ولكي يتمّ ترسيخ السلام في المجتمع، لابد من استثمار كل الطاقات، والمعارف الثقافية، والتقاليد الاجتماعية الحسنة التي تدعو إلى التعايش السلمي، والتسامح، ورعاية حقوق الناس، والتسوية السلمية للنزاعات.

وبما أن المخطوطات القديمة عبارة عن وثائق تاريخية سجل فيها الأسلاف خلاصة تجاربهم وعلومهم عبر التاريخ، يمكن للأجيال الحاضرة الاستفادة منها لبناء مجتمع سلمي قائم على الاحترام المتبادل ورعاية حقوق الانسان. وقد أدركت منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي أن المخطوطات، بما تحويها من قيم وتجارب ناجحة في مجال التعايش السلمي وحل الأزمات، يمكن الاستئانة بها في ترسيخ قيم السلم، وتحقيق المصالحة؛ لذا عملت على توجيه أنشطتها إلى استثمار تلك المعارف والتقاليد المحلية الكامنة في المخطوطات. وتأتي هذه الدراسة لبيان أهمية المخطوطات في ترسيخ قيم السلم المجتمعي ومقوماته، وذلك من خلال استعراض جهود هذه المؤسسة الرائدة.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الورقة إلى إبراز دور التراث المخطوط في حفظ الأمن و السلم المجتمعي، وذلك من خلال استعراض أهمّ الأعمال التي حققتها هذه المؤسسة والتي شملت دراسة وتحقيق وترجمة جملة من المخطوطات الإسلامية التي تعالج مسألة السلم والمصالحة والمبادئ المتصلة بهما. كما تحاول إلقاء الضوء على الجهود التوعوية التي رافقت الدراسات التحقيقية للمخطوطات والتي تمثّلت في تنظيم محاضرات، وورشات عمل، ومعارض، وبرامج إذاعية.

إشكالية الدراسة: تعتبر بلدان منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا من أكثر المناطق عرضة للأزمات الأمنية التي لا تزال تَهلك الحرث والنسل؛ وذلك بسبب تفشي ظاهرة الإرهاب، وانتشار أعمال العنف؛ مما أثر سلباً على السلم المجتمعي المعروف بين أبناء المنطقة منذ قرون. و دولة مالي إحدى دول المنطقة الأكثر تضرراً من تلك التهديدات، حيث عانت منذ عام 2012م من أزمة متعددة الأبعاد، فَكَّكت الروابط الاجتماعية الموجودة بين أطراف المجتمع، وأضعفت سيطرة الدولة على بعض المناطق، مما تسببت عرقلة أعمال التنمية، هذا وتشير الدراسات التنموية الحديثة إلى أن هناك علاقة وطيدة تربط بين السلام والتنمية المستدامة من جهة، وبين بناء المجتمع السلمي ورفع المستوى الثقافي للمجتمع من جهة أخرى. ويؤكد تلك العلاقة العبارة الحكيمة التي وردت في البند الأول لإعلان الميثاق التأسيسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، والتي تصرّح بأنّ الحروب إنّما تتولّد في عقول البشر، فيجب أن تُبنى حصونُ السلام في عقولهم. ولمواجهة التحديات الأمنية التي تواجهها منطقة الساحل لا بد من البحث عن المرتكزات الثقافية الماثلة في ثنايا المخطوطات القديمة و المعارف الأصيلة التي ترسخ دعائم الفكر السلمي، واستخراجها للناس ليسترشدو بها في سلوكياتهم وأنماط تفكيرهم.

تساؤلات البحث: انطلاقاً من الإشكالية التي تم عرضها تطرح هذه الدراسة التساؤلات الآتية: ما العلاقة بين التراث والسلام؟ كيف يمكن الاستفادة من المخطوطات في ترسيخ قيم السلم؟ ما هي أهم الأعمال التي حققتها منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي في مجال تعزيز قيم السلم في مالي بين الفترة 2012م-2022م؟ وما أثر تلك الانجازات في استدامة الأمن والسلم المجتمعي في مالي؟

فرضيات الدراسة: تفترض هذه الدراسة جملة من الفرضيات. هي:

- أن التراث الثقافي يُشكّل عاملاً أساسياً من عوامل تعزيز التماسك الاجتماعي وتقوية روابط المجتمعات المحلية؛ لما يحمله من هوية وذاكرة مشتركة للجميع.
- أن المخطوطات الإسلامية في مالي تحمل بين طياتها معارف ودروساً وعبراً يمكن أن تلعب دوراً فعالاً في دعم الاستقرار، والتعايش السلمي، وتعزيز قيم التسامح، والعدالة الاجتماعية.
- أن الجهود التي بذلتها منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي تركت آثاراً ملموسة في مجال تعزيز السلم وتحقيق المصالحة الوطنية في مالي.

أهمية الدراسة: وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تُسهم في البحث عن حلول تعتمد على المعارف والمصادر الثقافية المحلية لحل المشاكل الأمنية التي تعاني منها دول منطقة الساحل، وذلك من خلال إلقاء الضوء على الأعمال التي نفذتها منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي.

منهجية الدراسة: ولبلوغ أهداف الدراسة تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي الذي يعد ملائماً لطبيعة الدراسات التقييمية والبيبلوغرافية، وجرى اعتماد طريقة (تحليل المضمون) لحتوى المخطوطات المختارة وفيما يتعلق بإجراءات البحث فقد تم التركيز على البحث الوثائقي في المصادر والمراجع التي تخدم موضوع الدراسة وفي الوثائق الرسمية

لمنظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي. ولاستكمال المعلومات تم إجراء مقابلات مع القائمين على منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي وكذلك مع بعض المستفيدين من مختلف مشاريعها. و تم دراسة النماذج المختارة من المخطوطات باستخدام استمارة تحليل مضمون.

هيكل الدراسة: يتمحور هيكل البحث في مقدمة ومحورين وخاتمة. يتناول المحور الأول التعريف بمنظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي (تأسيسها، وأهدافها، وهيكلها التنظيمي ووحداتها، وشركاؤها). والمحور الثاني يدور حول استعراض أهم الأعمال التي حققتها هذه المنظمة من خلال التنقيب عن المرتكزات التراثية وبيان سبل الاستفادة منها في ترسيخ قيم السلم، والأمن الاجتماعيين. وأما الخاتمة، فتضم استنتاجات البحث وتوصياته.

المحور الأول: التعريف بمنظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي (تأسيسها، وأهدافها، وهيكلها التنظيمي ووحداتها، وشركائها)

التأسيس: تأسست جمعية حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي (SAVAMA-DCI) بتاريخ 27 نوفمبر 1996م بمدينة تمبوكتو بمبادرة الدكتور عبد القادر مما حيدر، وهو من الشخصيات البارزة في المنطقة والذي قدم خدمات جليلة للتراث الإسلامي، وينحدر من أسرة علمية شريفة وعريقة في مجال الثقافة الإسلامية؛ إذ تمتلك إحدى أشهر مكتبات تمبوكتو وأغناها بالمخطوطات: مكتبة مّا حَيْدَرَة للمخطوطات والوثائق. وكان السبب الذي دفع الدكتور عبد القادر إلى هذه المبادرة هو وضع المخطوطات الإسلامية في مالي، والتي لم تكن تحظى بالعناية الكافية من قبل جهات مختصة؛ إذ ظلت جُلّها حبيسة الخزانات والمكتبات الأسرية في ظروف مناخية قاسية وتحت أخطار أخرى تهدد مستقبلها. ولضمان الحفاظ عليها بصورة تليق بما كُثِرَ حِثُّه حضاري إنساني، تمّ تأسيس هذه الجمعية لتوحيد صفوف أصحاب المخطوطات، ولتقديم العون لهم، ومد جسور التعاون بينها وبين المراكز والجهات التي تهتم بشأن التراث. وفي 10 يونيو 2005م تحولت الجمعية إلى منظمة غير حكومية، وذلك بتوقيع اتفاق إداري مع حكومة جمهورية مالي تحت رقم 02133/083، مما يؤهلها للاضطلاع بمهامه بشكل أوسع ليغطي أنشطتها كل ربوع البلاد. وتم تحديد هذه الاتفاقية في شهر ديسمبر عام 2007. ويقع مقر المنظمة في مدينة تمبوكتو إلا أنه تم تحويله إلى باماكو منذ 2012 نظرا للأوضاع الأمنية السائدة في شمال البلد.

الأهداف: تهدف منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بشكل عام حفظ وصيانة وتأمين المخطوطات الإسلامية القديمة، وذلك من خلال أنشطة التنقيب، والجرد، والحفظ، والفهرسة، والرقمنة، وتسهيل وصول الباحثين إليها، وتسعى بشكل خاص ومفصّل إلى:

- الاسهام في تطوير أنشطة الحفظ المادي والرقمي للمخطوطات القديمة؛
- دعم أنشطة البحث العلمي حول المخطوطات من خلال التحقيق والدراسة والترجمة؛

- الاسهام في خلق بيئة مؤسسية مناسبة لتثمين المخطوطات القديمة؛
- تطوير ميادين المعرفة وتوسيع دائرة نشر التراث الإسلامي المخطوط؛
- التشجيع على إدخال عناصر المخطوطات في المناهج المدرسية والمقررات الجامعية، وذلك على المستوى المحلي والوطني والإقليمي والدولي؛
- الاسهام في النهوض بالأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، مثل: الفنون والحرف اليدوية والأنشطة المرتبطة بالسياحة الثقافية؛
- دعم جهود التنمية المستدامة واستمرار الحركة العلمية والثقافية في البلاد والتي تشهد عليها غزارة المخطوطات القديمة.

منهج عمل المنظمة واستراتيجياتها: تعتمد استراتيجية المنظمة على التعاون والعمل مباشرة مع مكاتب المخطوطات على أساس قبولهم - بشكل واضح لا لبس فيه - بفتح مكباتهم للمستفيدين والراغبين في القيام بأعمال البحث العلمي والفني حول المخطوطات. ويضمن هذه الاستراتيجية:

- تحسين حالة حفظ المخطوطات، من خلال توفير بيئة أفضل تسمح بحمايتها وتسهيل الوصول إليها؛
 - توفير القدرات البشرية في إدارة المكاتب واكتساب التقنيات والخبرات في مجال حفظ المخطوطات واستغلالها؛
 - دعم المبادرات في مجال البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، من خلال منح الأكاديميين (الطلاب والأساتذة) فرصة العمل على المخطوطات؛
 - دعم مبادرات تطوير وتنمية مجال السياحة والفنون والثقافة باستخدام المخطوطات.
- الهيكل التنظيمي:** ولتحقيق أهداف منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي تم هيكلتها على النحو التالي:

- **الجمعية العمومية:** وتضم أعضاء الجمعية من أصحاب المخطوطات، وهي بمثابة الهيئة العليا التي تحدد رسالة المؤسسة وخططها الاستراتيجية.
- **اللجنة الاستشارية:** وهي مكونة من مختصين يقدمون المشورة والتوصيات التي تساعد المنظمة على بلوغ أهدافها.
- **المكتب التنفيذي:** يُعدُّ المكتبُ التنفيذيُ أعلى مستويات الإدارة التنظيمية التي يضطلعُ أعضاؤها بالمسؤوليات اليومية للمؤسسة، ويتمتعون بسلطات تنفيذية خاصة بتحويل من الجمعية العمومية. ويتكون المكتب التنفيذي من أربع (4) لجان: اللجنة الفنية المكلفة بالتربية والبحث العلمي، واللجنة الفنية المسؤولة عن التراث المخطوط والتنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة، واللجنة الفنية المسؤولة عن حفظ المخطوطات وحمايتها، واللجنة الفنية المسؤولة عن تنظيم ومتابعة العلاقات مع المكاتب.

• **اللجنة العلمية:** وتتكون من مجموعة من الأكاديميين ويعملون على تقييم الدراسات والبحوث والمصادقة على أعمال النشر الخاصة بالمنظمة.

• **الأمانة الدائمة:** تضم موظفين مؤهلين بتوجيه من الرئيس التنفيذي. وتتكون إدارة الأمانة الدائمة من مكتب الرئيس التنفيذي والسكرتاريا، ومكتب المنسق العام للمشاريع، ومكتب مدير المالية. إلى جانب هذه المكاتب توجد الوحدات الفنية والمعامل: وحدة الحفظ والصيانة والترميم، ووحدة الجرد والفهرسة، ووحدة التصوير الرقمي.

نبذة عن سيرة الرئيس التنفيذي: هو الشيخ والدكتور عبد القادر بن محمد المولود حيدرة، وينحدر من أسرة علمية شريفة يتصل نسبها بالإمام الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان والده محمد المولود حيدرة، المشهور بـ مما حيدرة قاضيا وعالما جليلا، ورث المشيخة والقضاء كابرا عن كابر، وورث أغنى مكتبة عائلية للمخطوطات بمنطقة تمبكتو. ولد عبد القادر في مدينة تمبكتو سنة 1964م، وبدأ دراسته عند والده، وتعلم على يده القرآن وأمهات كتب العلم في مجال الفقه واللغة العربية والتصوف. وقد تتلمذ كذلك على يد ثلة من شيوخ جامع سنكوري. إلى جانب هذه المسيرة العلمية في مجال الدراسات العربية والإسلامية، تعلم عبد القادر اللغة الفرنسية وحصل على شهادة تمكّن فيها سنة 1988م، وحصل كذلك على شهادة تكوين في علم المخطوطات، وشارك في العديد من الدورات الرفيعة المستوى حول تقنيات حفظ وصيانة المخطوطات وفهرستها. بدأ حياته المهنية في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتبكتو، حيث كان يعمل في مصلحة التقيب، وبسبب جهوده تم جمع الكثير من رصيد هذا المركز الفريد من نوعه في إفريقيا جنوب الصحراء والتي تم تحويله حاليا إلى مؤسسة تعليمية عليا باسم معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية. اعترافا بإنجازات الشيخ عبد القادر مما حيدرة العلمية والثقافية، منحه المعهد العالي لتكوين الأساتذة بمدينة ليون-فرنسا درجة الدكتوراه الفخرية، وكذلك جامعة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد حصل كذلك على تكريمات وجوائز تشريفية وشهادات اعتراف من عدة دول ومؤسسات. وكما تم تكريمه على المستوى الوطني بوسام فارس النظام الوطني (أحد أهم الأوسمة التشريفية بجمهورية مالي) في عام 2015م (الونغري، 2019).

أهم الأنشطة والإنجازات: تتركز مجالات عمل منظمة حماية وتقوم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي على التنمية الثقافية والحفاظ على التراث المخطوط والتربية والتدريب في مجال الفنون المرتبطة بالمخطوطات القديمة. وتدخل هذه الأنشطة في صميم أعمال التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المستدامة في مالي. فمنذ تأسيس هذه المنظمة قامت بأعمال رائدة تُعدُّ حقًا إسهاما في تحقيق التنمية المستدامة، وذلك بالتعاون مع شركائها. وقد شملت تلك الأعمال بناء مكتبات للأسر المالكة للمخطوطات لضمان ظروف حفظ ملائمة. وفي هذا الجانب تم بناء وتجهيز 40 مكتبة للمخطوطات موزعة على المناطق والمدن والقرى المشهورة بغزارة مخطوطاتها مثل: تمبكتو وغاؤ وجي ووجيبية وبماكو وسيغو وغندام وديري وغيرها.

وفي مجال الفهرسة، قامت منظمة حماية وتقوم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بفهرسة 8000 مخطوطة جمعت من 53 خزانة أسرية. وقد تم إصدار وطبع بعض هذه الفهارس بالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. ومن الفهارس التي تم نشرها فهرس مخطوطات مكتبة مُمَاخِيْدَرَة للمخطوطات والوثائق الذي نشرته مؤسسة الفرقان سنة 2000م، ويضم أكثر من 3000 مخطوطة، وتغطي موضوعاتها العديد من المجالات، مثل: التوحيد، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والأدب، والنحو، والتصوف، والفلك، والمدائح النبوية، والسيرة، والتاريخ، والمراسلات التجارية والسياسية بين التجار والعلماء والحكام. وصدر كذلك سنة 2006م فهرس المخطوطات الإسلامية في المكتبة الزينية ببوجيبة-مالي- في مجلدين : فهرسة عبد القادر مما حيدرة و تحرير أيمن فؤاد سيد.

وفيما يتعلق بتكوين وتدريب القائمين على المخطوطات قامت منظمة حماية وتقوم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بتنظيم دورات تكوينية في مجال ترميم المخطوطات وصيانتها وفهرستها. وقد استفادت من تلك الدورات العديد من المكتبات الأسرية في مختلف أنحاء البلاد. وفي مجال تثمين المخطوطات أسهمت بِجُمْلَةٍ من المعارض والندوات والمحاضرات وورشات العمل داخل البلاد وخارجها للتوعية بأهمية المخطوطات في تحقيق التنمية المستدامة. وفي أثناء الأزمة الأمنية في شمال البلاد قامت المنظمة بعمل بُطولي في إنقاذ المخطوطات ونقلها إلى مناطق آمنة. ومع التطور السريع الذي يشهده عالم اليوم من تطور في التقنيات والأساليب الحديثة لحفظ واختزان المعلومات، زادت إمكانية حماية المخطوطات بأساليب وطرق جديدة تمثلت في رقمتها وإتاحة الإطلاع عليها لأكثر عدد من المستفيدين. ولموكة هذا التطور وضمان حفظ المخطوطات من التلف والضياع، قامت منظمة حماية وتقوم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بالتعاون مع شركائها برقمته 340000 مخطوطة. وتمثل مؤسسة "جوجل آرّس" (Google Arts & Culture) كبرى المؤسسات التي قدمت دعماً بارزاً في مجال الرقمنة؛ حيث تمّ بشراكتها إعداد قاعدة بيانات لـ 5030000 صورة للمخطوطات، وتم كذلك وضع العديد منها على شبكة الأنترنت ليساعد المستفيدين والباحثين للوصول إليها عن بعد بأقل جهد ووقت.

إن هذا التراث المخطوط العظيم الذي تزخر في بلادنا، لا يكفي فقط العناية بصيانتها وعرضها في المعارض، بل لا بد من إظهار ما تحتويه من أفكار وأساليب وتوجيهات، وذلك بدراستها وتحقيقها وترجمتها ونشرها. وإدراكاً لأهمية دراسة وتحقيق المخطوطات، قامت المنظمة بعقد الشراكة مع العديد من الجامعات والمعاهد لتسهيل وصول الباحثين إليها، كما حققت مجموعة من المخطوطات التي تُعالج قضايا محورية في تنمية البلاد.

أهم شركاء منظمة سفاما: تعمل منظمة حماية وتقوم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي مع مجموعة من الشركاء والجهات المهتمة بحماية وتثمين التراث، وذلك لمساعدتها في تحقيق أهدافها وتنفيذ مشاريعها وبرامجها. وتشمل تلك الجهات الحكومات، والجامعات، والمنظمات غير الحكومية الدولية، ومراكز المخطوطات، وغيرها من

المؤسسات الثقافية والعلمية. ويقدم لها الشركاء التمويل والموارد والخبرات الضرورية لتعزيز مهمتها. ونذكر من بين الشركاء على سبيل المثال:

مؤسسة "فوردر" (الولايات المتحدة الأمريكية): هي إحدى المؤسسات الخيرية الأمريكية التي تدعم الأعمال الخيرية والعلمية والتعليمية للصالح العام ، وتقدم تبرعات للعديد من المنظمات .

متحف ومكتبة مخطوطات هيل: وهي مؤسسة تابعة لجامعة سانت جون في ولاية مينيسوتا الأمريكية وتهتم بحفظ التراث العالمي المخطوط المعرض للخطر ونشره.

مؤسسة جيردا هنكل (Gerda Henkel Foundation): هي مؤسسة خيرية ألمانية أسسها ليزا ماسكيل 1976م تخليداً لذكرى والدتها جيردا هنكل، كمنظمة غير ربحية تدعم البحث العلمي في الجامعات والمعاهد، وتُعنى بشكل أساسي بالتاريخ وعلم الآثار وتاريخ الفن.

مكتب اليونسكو في مالي: هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة التي من مهامها السعي إلى تحديد مواقع وعناصر التراث العالمي الثقافي والطبيعي وحمايتها وصونها في جميع أنحاء العالم نظراً إلى قيمتها الاستثنائية بالنسبة للبشرية.

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية "إرسيكا": وهو جهازٌ متفرّع عن منظمة التعاون الإسلامي، يقع مقره في اسطنبول، وقد أنشئ في عام 1979 كمركزٍ ثقافيٍّ للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي. وتقوم إرسيكا بأنشطة تتعلق بالبحث والنشر والتدريب وتقديم المعلومات عن مجموعة واسعة من الموضوعات المتعلقة بالحضارة والثقافات الإسلامية.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث (دبي): وهي مؤسسة ثقافية إماراتية تأسست بدعم كامل من معالي جمعة الماجد، ليكون هيئة خيرية علمية ذات نفع عام تُعنى بالثقافة والتراث.

الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون: وهي مؤسسة تابعة لوزارة الخارجية السويسرية، وهي مكلفة بملفات التعاون الدولي وتقوم بتنفيذ عمليات مباشرة وتمول برامج منظمات إنسانية سويسرية ودولية، وخاصة في مجالات التنمية والمساعدة الإنسانية.

وكالة ليكسمبورغ للتنمية والتعاون luxdev: هي الوكالة الرسمية لحكومة ليكسمبورغ المكلفة بالتعاون الدولي، وتهدف بشكل أساسي إلى القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، في جوانبها الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والبيئية.

مؤسسة DOEN: هي مؤسسة خيرية هولندية تأسست عام 1991م، تقوم بدعم المبادرات والمشاريع في قطاع الفنون والثقافة.

صندوق الأمير كلاوس للثقافة والتنمية (Prins Claus Fonds): منظمة خيرية هولندية تأسست سنة 1996م، مقرها أمستردام، وتهدف إلى تنمية المعرفة الثقافية وتشجيع التفاعل الإيجابي بين الحضارة والتنمية.

المكتبات العائلية التي تلقت دعم المنظمة: تتعاون منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي مع الكثير من المكتبات العائلية للمخطوطات في مدينة تمبكتو وفي جميع أنحاء البلاد. وتحتوي هذه المكتبات على جزء مهم من التراث المخطوط الذي جمع منذ قرون نتيجة الحركة العلمية والثقافية التي عرفتتها منطقة الغرب الإفريقي، وقد حصلت العديدة منها على الدعم في مجال فهرسة مقتنياتها وفي بناء أو إصلاح وتجهيز أماكن الحفظ. وسنعرض هنا قائمة ببعض المكتبات العائلية التي تلقت الدعم من قبل منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي وشركائها.

المكتبة	البلد
مكتبة إنفا يترى للمخطوطات	تيمبوكتو
مكتبة أحمد بلعرا	تيمبوكتو
مكتبة سيد زيان	تيمبوكتو
مكتبة مما حيدرة	تيمبوكتو
مكتبة ألفا محمد	ديري
مكتبة مسعود بن أبي بكر	تيمبوكتو
مكتبة أحمد بابا أبو العباس	تيمبوكتو
مكتبة أبوبكر بن سعيد	تيمبوكتو
مكتبة ألفا يوسف	كبرا
مكتبة حن سيدي	تيمبوكتو

المحور الثاني: أعمال منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي في مجال حفظ الأمن والسلم المجتمعي

تعتبر مالي من المناطق التي تتميز بتنوع ثقافي وإنتاج علمي غزير نتيجة التلاقح الحضاري التي جرت بين الثقافة الإفريقية الأصيلة التي تتميز بالتسامح والتضامن وبين قيم الإسلام السمحة التي تدعو إلى المحبة والسلام. وقد أدى هذا التلاقح إلى تكوين ممالك إسلامية ومدن ثقافية كبرى عرفت عبر التاريخ بازدهارها واستقرارها؛ حيث عاشت فيها مختلف طوائف المجتمع في جو يسوده الأمن والسلام. فمنذ عام 2012م يمر البلاد بأزمة معقدة ومتعددة الأبعاد، أدى إلى تردي الأوضاع الأمنية في طول البلاد وعرضها، مما شكل تحديا كبيرا للسلطات ومؤسسات المجتمع المدني وأفرض على الباحثين الإدلاء بدلائلهم لاستخراج المراكز السلمية المكمونة في التراث والتي كانت سائدة في المجتمع. وتعتبر المخطوطات الإسلامية أهم موروث ثقافي يحمل في طياتها قيما حضارية يمكن العودة إليها لبناء مجتمع سلمي يسوده العدل والتسامح والاعتراف بالآخر (إقبال، و ساره، 2021).

إيماننا بالدور الذي يمكن أن تلعبه مضامين المخطوطات في الأمن والسلم الاجتماعي قامت منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بدراسة اجتماعية وببليوغرافية للبحث عن قيم السلم في مضامين مخطوطات تمبكتو وفي التقاليد الاجتماعية التي توطد الصلة بين أبناء البلد. وكونت لذلك فريقا من الباحثين المتخصصين في مجال تحقيق المخطوطات وترجمتها وفي مجال العلوم الاجتماعية والانسانية. جمع الفريق في الدراسة المعنون بـ "ثقافة السلام في الإسلام" العديد من النماذج المدونة في المخطوطات والتي تشهد على رسوخ ثقافة السلام والتسامح في مجتمع مالي.

وتبني تقاليد السلم الاجتماعي في مجتمع تمبكتو الذي أخذ كأنموذج في الدراسة على مجموعة من القيم وأساليب الحياة التي تنبذ العنف والتطرف. وتمثل حالة تمبكتو صورة مصغرة لمجتمع مالي؛ حيث يعيش فيها بوتام مختلف المجموعات العرقية والاثنية المعروفة في البلاد. وعرفت المدينة بالاستقرار، والتسامح، والانفتاح على الآخر، وجميع مقومات السلم المجتمعي من محبة، وعدل، ومساواة، ومناصفة، وتضامن، حتى قيل في وصفها إنها "المدينة التي بسبب كثرة خيراتها يتمتع فيها الكل برغد العيش، وينعم فيها حتى الأسير بالرفاهية، ويبنى أعلى القصور، ويفضل فيها الأهالي أبناء الجيران على أبنائهم". وأشارت الدراسة إلى النهج الاستباقي الذي كان يتبعه الأوائل في الحد من نشوب الصرعات والتي من أهمها آليات اجتماعية تقوي التماسك الاجتماعي وتنمي أواصر المحبة، مثل: حلف الممازحة والمؤاخاة والموالاتة التي تربط بين القبائل وتجمع الأقران. وكان العلماء يلعبون دورا مهما في حفظ الأمن والسلم المجتمعي ويقدمون النصح والمشورة لولاة الأمور، ويقومون بالمساعي الحميدة والوساطة بين الزعماء والقبائل عند نشوب الخلافات والنزاعات. وقد وجد الباحثون في ثنايا المخطوطات عدة رسائل تشهد على الدور الذي كان يقوم به العلماء في مجال تسوية النزاعات والدعوة إلى التسامح والعيش المشترك، منها علي سبيل المثال رسائل الشيخ سيد المختار الكنتي إلى أمير ماسنا يدعوه فيها إلى الرفق والتسامح وعدم التعرض بأذى إلى الرحالة الألمان هنري بارث الذي استأمن آل كنته.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى تحديد جملة المخطوطات المهمة في مجال تعزيز السلم والمصالحة الوطنية. قامت منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بتحقيق وترجمة خمس منها. كما قامت بتنظيم محاضرات عامة وورش أعمال وبرامج إذاعية وتلفزيونية حول محتوياتها. وكان بعض تلك من المحاضرات موجهة إلى الجامعات والمعاهد العلمية وبعضها موجهة إلى القيادات المجتمعية. وأما البرامج الإذاعية فهي موجهة إلى عامة الشعب. سنعرض هنا نبذة من محتوى الكتب الخمس التي تم تحقيقها وترجمتها.

1. النصح المبين عن قبح اختلاف المؤمنين

المؤلف: ألف هذا المخطوط النفيس العالم الجليل الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي (1796 - 1864) الذي يعتبر رمزا من الدعوة والإصلاح ونشر الطريقة القادرية في منطقة السودان الغربي. لعب دورا مهما في تاريخ غرب إفريقيا وفي مقاومة الاستعمار الفرنسي، وأسس إمارة إسلامية واسعة شملت أجزاء كبيرة من السنغال ومالي وغينيا كوناكري.

المصدر: اعتمد المحققون على نسخ مخطوطة لهذا الكتاب وُجِدَتْ في كِلِّ من مكتبة مما حيدرة بتمبكتو-مالي-، ومعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتمبكتو-مالي-، ومعهد البحوث الإنسانية بنيامي-النيجر. **التحقيق والترجمة:** قام بتحقيق المخطوطة وترجمته فريق مكون من الأستاذ الدكتور عبده زبير، والدكتور عبد القادر أربون إدريس، والدكتور عبد الرحمن سيسي، والدكتور عبد الله برزي، والدكتور بازمانا تراوري.

محتوى المخطوط: يُعتبر مخطوط تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين أو النصح المبين عن قبح اختلاف المؤمنين لمؤلفه الحاج عمر الفوتي تقريراً عن تجربة ناجحة في حل النزاعات والخلافات التي قد تحدث بين الأشقاء. لقد قام الحاج عمر تال بالوساطة والمساوي الحميدة لتسوية النزاع الذي كان قائمة بين إمارة صكتو ومملكة برنو. استند الحاج عمر تال في تسويته للنزاع إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة التي تدعو إلى إصلاح ذات البين وتنتهي عن النزاع والخلاف اللذان يؤديان إلى الفشل وذهاب الريح. وقد شمل الكتاب على استراتيجيات فعالة استخدمها الحاج عمر للوصول إلى إنهاء الصراع وتسوية النزاع. منها:

- استغلال العلاقة الودية التي يتمتع بها الحاج عمر مع كلا الطرفين المتنازعين؛
 - الاحتكام إلى الثوابت التي يؤمن بها كل الأطراف؛
 - التأكيد على الأخوة الدينية وضرورة المحافظة عليها؛
 - التنبيه بعواقب الحروب والاقتتال الداخلي من دمار وقتل للأبرياء؛
 - الإقناع بالحجج والبراهين بضرورة لمّ شمل المسلمين لمواجهة العدو الخارجي؛
 - التحذير من غضب الله وعقابه الذي توعده به المتقاتلين ومن يحمل السلاح على المسلمين.
- نستخلص من هذا المخطوط وهذه التجربة التي قام بها الحاج عمر أن للقادة دور مهم في تسوية النزاعات؛ لما يتمتعون بها من مكانة اجتماعية لدى السلطات ولدى عامة الشعب. ويمكن لدول الساحل الاستعانة بالعلماء وتشجيعهم بالقيام بالمساوي، ودعوة الناس إلى الاحتكام إلى الثوابت الدينية.

2. أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل

المؤلف: هو الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، وهو أهم الشخصيات العلمية والسياسية التي تركت بصماتها الواضحة في غرب إفريقيا وأسس الإمارة الإسلامية في صكتو .

المصدر: المخطوط موجود في مكتبة مما حيدرة بتمبكتو ومكتبة محمد أنواي بتمبكتو.

التحقيق: الدكتور عبد الكريم عبد الباسط توري

محتوى المخطوط: يدور الكتاب حول موضوع أسس الحوكمة الرشيدة وأخلاقيات العمل السياسي. ومن المعلوم عدالة السلطات والتزامها بمبادئ الحكم الرشيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمن والاستقرار، بل تعد من أهم أركان الأمن الاجتماعي؛ إذ غالباً ما تنشأ الحروب عن سوء إدارة الحكم والجور. فإقامة العدل وتسيير شؤون الدولة بنزاهة ينعكس بشكل إيجابي على السلم المجتمعي. يرى خبراء السلام أنه لا يمكن تحقيق سلام دائم في بيئة يسودها سوء

الحكم وأن الظلم أحد الأسباب الجذرية للصراعات والنزاعات. ويقترح هذا الكتاب عشرة (10) مبادئ أساسية لترشيد الحكم وإقامة العدل:

المبدأ الأول: الشعور بخطورة مسؤولية تولي الأمور العامة وعظم قدر منصب الولاية؛ وفي هذا يستدل بما روي عن النبي "عدل السلطان يوما واحدا أفضل من عبادة سبعين سنة" وحديث "أشد الناس عذابا يوم القيامة إمامٌ جائرٌ".

المبدأ الثاني: الإصغاء إلى الرعية والاستعانة بالعلماء الأتقياء والحذر من العلماء السيئين الذين لا يغيروهم إلا مكاسب الدنيا.

المبدأ الثالث: حماية حقوق المواطنين والابتعاد عن الظلم.

المبدأ الرابع: اختيار الأعوان من الأتقياء والأكفاء وأهل الأمانة؛ ولا بد من متابعتهم ولا تسمح لهم بارتكاب ظلم، لأنك ستسأل أمام الله عن ظلمك وعن ظلمهم .

المبدأ الخامس: التواضع وضبط النفس.

المبدأ السادس: أن تكون قريبا من الناس ومهتما بشكاويهم .

المبدأ السابع: أن تكون دائما في خدمة الشعب.

المبدأ الثامن: -ارتداء اللباس المناسب وفقا لقواعد اللباس.

المبدأ العاشر: الرأفة والتسامح تجاه محكوميه.

المبدأ العاشر: إدارة موارد الدولة بنزاهة.

3. تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين

المؤلف: هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي. وهو من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري؛ وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية وإصلاحية امتد صداها إلى ممالك السودان الغربي. وقد لعب المغيلي دورا مهما في ترشيد الحكم في هذه البلدان.

التحقيق والترجمة: آدم كارامي.

محتوى المخطوط: يقدم هذا الكتاب نصائح قيمة للحكام. يرى المغيلي أن معظم الفساد الذي يشكو منه الناس هو من المسؤولين الفاسدين، فنبه الحاكم إلى ذلك، وقدم له عصارة النصائح والفوائد؛ ليكون على بينة من أمره، وليعرف كيف يحكم، وكيف يختار قضاة وموظفيه، ليكون في جملة أموره معينا على الحق، ومرشدا إلى البر، وعاملا على التقوى...

4 مصالح الانسان المتعلقة بالاديان والأبدان

المؤلف: هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن فوديو بن صالح بن هارون المتوفي سنة 1828م.

التحقيق: محمود محمود ددب

محتوى المخطوط: ويمكننا القول إن صاحبها قد أرسى بالفعل أسس حقوق الإنسان بوضوح شديد. ويمكننا أن نقول إنها تتجاوز ما هو معلن في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948. يتناول الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن فوديو في هذا المخطوط قضايا حقوق الإنسان التي يشكل احترامها عاملاً رئيسياً في استدامة السلام. وحسب ما أورده، إن حقوق الإنسان في الإسلام تشمل شتى أطوار حياة الإنسان، فاللجنين حقوقه في أن يرى نور الحياة، وللطفل حقوقه في التمتع بهذه المرحلة العمرية الغضة، وللشباب حقوقه في أن توفر له مقومات الحياة، وأن يحصن ممّا قد يحيط به من مزالق وانحرافات، وللكهل حقوقه في ممارسة جميع نشاطاته المشروعة والقيام بدوره في المجتمع الإنساني، وللشيخ حقوقه في أن تصان كرامته، وتراعى شيخوخته، وتوفر له سائر احتياجاته بعد أن أعطى للمجتمع زهرة أيامه، وللمريض حقوقه بأن يعالج مع احترام كرامته. بل إن حقوق الإنسان في الإسلام لتمتد إلى ما بعد الحياة، فللميت حرمة، فلا يعبث بجسده ولا يُمَثَّلُ به، بل يُغسل ويُكفن ويدفن ويُصان قبره ويُزار.

5. نيل المرام من شيم الكرام

المؤلف: الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن فوديو المتوفي سنة 1828م

التحقيق: الدكتور بازمانا تراوري

محتوى المخطوط: يُعد كتاب نيل المرام من شيم الكرام من أهم الكتب الأخلاقية التي تم تأليفها في منطقة الغرب الإفريقي؛ حيث تناول فيه المؤلف الأخلاق الحميدة التي تضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وقد حث فيه المؤلف الناس على الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية، وقدم نصائح تسمح تكوين رجل مثالي يهتم بسلوكه تجاه غيره.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى أن المخطوطات تحتوي في مضامينها على قيم وتقاليدها الاجتماعية سلمية يمكن استثمارها في استعادة الأمن في منطقة الساحل، وأن جهود منظمة حماية وتقييم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي أسهمت بشكل فعال في دعم مسار المصالحة الوطنية والسلم المجتمعي في مالي. وقد زكزت تلك الجهود على دراسة وتحقيق وترجمة جملة من المخطوطات الإسلامية التي تعالج مسألة السلم والمصالحة والمبادئ المتصلة بهما، كما شملت جملة من الأنشطة التوعوية التي صاحبت الأعمال العلمية والتي تمثلت في تنظيم محاضرات وورشات عمل ومعارض حول محتوى النماذج المختارة من المخطوطات.

المصادر والمراجع

- إقبال محمد صالح، ساره عبد الله سعيد القرني. (2021). المخطوطات العربية: ماضي عريق وتنمية مستدامة. المجلة العربية للنشر

- حيدرة، عبد القادر مما، مقابلة شخصية بتاريخ 2023/09/15

- زبير، محمود (1978)، دراسة عن وضع المخطوطات العربية في جمهورية مالي مجلة معهد المخطوطات العربية لمجلد 24، العدد 1، ص ص. 203-207، 5ص.
- موقع منظمة حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي. / <https://savamadci.org>
- الونغري، سيد المختار بن سيد يحيى (2019)، الدكتور عبد القادر حيدر: تحديات للنهوض بالمخطوطات القديمة بتمبكتو-مالي، مطبعة محمد مرتضى امباكي.